أوليات الملك فاروق

للأستاذ عبد اللطيف المغربي المفتش بوزارة المعارف

فى وثبة التاريخ الجديدة ، فى دورة الزمن الموفقة ، فى الطالع السعيد ، والعصر المجيد — أسجل، بعض أوليات لجلالة مليكنا المحبوب ، فخر العصر ، وزين الشباب ، وسليل المجد ، وواسطة العقد ، وبسمة الدنيا ، وطلعة اليمن ، ومشرق السرور ، ومنبع الخير ، وأمان الدهر ، وعماد الدين « فاروق الأول » أيد الله ملكه ، ورعى عصره ، وأدام سعده ، ومكن له فى الجاه والصولة ، وعقد له راية النصر خفاقة ، تجرى فى ظلالها الأيام باسمة ، وتتلاقى حولها بوارق الأمل ، وخوالج المنى ، وطوالع السعادة على خير ما ترجوه مصر من مليك موفق ، أعدّه الله لها ، فكان عصره صورة منه : مضيئا كقسمات وجهه الكريم ، حرا كطبعه النظيم ، بساما كطلعته البهية ، صافيا كنفسه الطيبة ، رقيقا كشمائله العذبة ، ميمونا كنقيبته السمحة !

أضاء لنا أفق البلاد وكشّفت مشاهدهُ مالا يكشّفه الفجْر

بوجهٍ هو البدرُ المنير نفى الدجى سناهُ وأخلاقٌ هى الأنجم الزُّهر

وإنا لذاكرون بعض أولياته الخالدة، مما نعطر به جوانب التاريخ الحديث، ونحلى به صفحة الجيل الجديد، فمن هذه الأوليات :

المعاهدة المصرية الجديدة :

لاقت مصر فى سبيل استقلالها ماشاء الله أن تلاقى : من جهاد عنيف شبت ناره قرابة عشرين عاما، وكلما دنت من أمانيها، ردها الدهر على أعقابها، فاستأنفت جهادا، ولاقت آلاما، ومضت فى سبيلها زخارة جياشة لا تلوى على شىء مما تبذل من مال وضحايا، ولا يعرف اليأس من أمنيتها إلى قلبها سبيلا، على الرغم من مطـــاولة الأيام، ومدافعة الحوادث.

حتى إذا استوفت حظها من الجهاد المقدر، وأوفت على الغاية من لبانتها، كتب الله لها النجاح، وهيأ لها التوفيق، فتمت لها المعاهدة فى مطلع عصر الملك، الموفق « فاروق » الذى فرَق بيمينه وبركة اسمه الكريم بين عصرين مختلفين.

إلغاء الامتيازات :

وكانت الامتيازات الأجنبية كالشوكة فى جنب مصر تؤلمها وتؤذيها ، والشجا فى الحلق ، لا تستطيع به أن تسيغ الحياة هانئة صافية ، فكثرت لها المصاعب والمشاكل ، وحز بها الأمر حتى ضاقت به ذرعا ، فجعلت تدعو إلى النصفة فلا تجاب ، وترسل صوتها فى كل نهزة إلى مسامع الأمم ، فلا تلقى إلا إعراضا واستكبارا ، والامتيازات — ذلك الداء الوبيل — تحز فى قلبها ، وتقطع من أوصالها ، وهى صابرة على ذلك محتسبة ، حتى إذا برح بها الألم ، ونال منها الأذى كل منال ، آذن الله لغمتها أن تنكشف ، ولمحنتها أن تنقشع ، بقبول الأمم إلغاء الامتيازات ، وكان ذلك من أوليات طلائع الخير لعصر الملك « فاروق »

وهى المآثر ليس يبنى مثلها بانٍ ولا يسمو إلى تحويلها

عطفه على فقراء رعيته

وهو أول ملك فاض قلبه بالشفقة على رعيته ، والرأفة بضعافهم ، فولج على الفقراء أكواخهم ليتعرف حاجاتهم ويلم بأحوالهم ، ويدخل المسرة على قلوبهم ، ويغمرهم بعطاياه ونفحاته العظيمة ، إنهاضا

لهمهم، وسد المفاقرهم، وتفريجا لكربهم، وتخفيفا لآلامهم، وإشعارا لهم بالكرامة، وتلك مبرة يتلقاها الناس بالشكران، ويتقبلها الله بالمثوبة والرضوان، وهو فى هذا العطف شبيه بسميه الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رمز العدل وظله، والذى كان يطوف برعيته والليل مرخ سدوله، ضارب بجرانه، يتفقد أحوالهم ويتعهد مصالحهم، رأفة بهم وحدبا عليهم، فلله درّ الفاروقين فى السجايا والمكارم، والعطف على الضعاف والمساكين من عباد الله الذين أوصى الله بهم خيراً، وجعل فى أموال الأغنياء والموسرين لهم قدرا:

مساعٍ يضل الشعر فى كنه وصفها ... فما يهتدى إلا لأصغرها الشعر

وتلك لعمرى من أفضل الذخائر عند الله وأجلها أثرا، وأحمدها عاقبة، فإن العطاء يجمل إذا صادف حاجة، والغيث يُحمد إذا واجه محلا، وأفضل الصنائع إغاثة ملهوف، وإعانة ضعيف، وقد جعل الله من مزايا الإحسان إلى الفقراء، اختلاج ألسنة العباد بالثناء على المحسن، والدعاء له

أثنى عليك بنعماك التى عظمت ... وقد وجدتُ بها فى القول مُنْفَسَحا

والفاروق «أعزه الله» أول ملك يخاطب رعيته فى المذياع، ويلقى عليهم تحياته وكلماته القيمة فى المواسم العظيمة، والمواقف النبيلة: ففى حفلة تتويجه المباركة ألقى على الشعب المصرى الكريم كلمة ثمينة أعرب لرعيته فيها عن حسن تقديره لمحبتهم، وإخلاصهم لذاته الكريمة، وتفانيهم فى التعبير عن الولاء له بمختلف المظاهر، فكان لهذه الكلمة المباركة أثر حسن، مسّ قلوب رعيته فى أقل من لمح البصر، ورجع الطرف، فأرت بالدعاء لله أن يحفظ المليك المحبوب، وأن يوالى عليه نعمه وعطاياه.

وفى مستهل شهر رمضان المبارك أرسل جلالته الى رعيته المخلصة تهنئة وتذكرة بما لهذا الشهر العظيم من حق ورعاية على المسلمين. ولا ريب أن لذلك الأثرَ الصالح فى تقويم الأخلاق، والحثّ على التمسك بأدب الدين وهديه، والأخذ بناصر الفضيلة، وحسن الاقتداء بالمليك الصالح الموفق، محيى سنن السلف الكريم، وقديما قيل «الناس على دين ملوكهم»

ومعنى هذا أن الناس يكْلَفون بما يهتم به الملوك من الأخلاق

والنزعات والعادات ، وقد أيد التاريخ هذه القضية بأمثلة كثيرة نجتزىء بالإيماء إليها .

وبعد حفلة القران المباركة التاريخية ، التى خفق لها قلب مصر خفقة خالدة ، واحتشدت لها مصر بأجمعها فى مدينة القاهرة احتشادا لم تر مثله عين الزمان ، ولم يظفر بنظيره جبل المقطم فى سالف الدهور — ألقى حفظه الله كلمة فى المذياع أظهر بها رضاه ومسرته لشعبه الكريم ، المتفانى فى محبته ؛ لما بذل من افتنان فى إظهار الفرح والسرور بقرانه السعيد . وفى ذلك مافيه : من أدب ملكى رائع ، وخلق فاضل ، وحسن تقدير للجميل ، مما يغرس مثل هذه الأخلاق السامية فى نفوس الرعية ، فيعملون بأمثالها كلما دعتهم إليها دواعيها .

أرأيت بعد هذا أدبا ملكيا يشع عن جلال وفطرة ، وكرم نحيزة كهذا الأدب العالى الذى جمّل الله به المليك « فاروقا » ؟ إن هذا لهو الفضل المبين

الله أعطاك المحبة فى الورى وحباك بالفضل الذى لا ينكر

استماعه الى الدروس الدينية فى المساجد :

وكان لنشأته الأولى الموفقة التى شب عليها الأثر الصالح : فى اختلاف جلالته إلى المساجد . وجلوسه فى حلقات الدورس الدينية ، يستمع إلى ما يلقى فيها من الأحكام الشرعية والعظات الدينية ، والآداب الاسلامية ، وبذلك ضرب للناس المثل الأعلى فى المساواة ، وأن الناس سواسية ، فى دين الله وساحته الطاهرة ، سواء منهم الفقير والغنى ، والضعيف والقوى ، فيجد الغنى لذلك تطامنا وتواضعا ، ويحسّ الفقير من نفسه فى دين الله عزة وكرامة ، إذا جالس — على بساط المساواة — من هو أعلى منه مقاما ، وأرفع قدرا ، وتلك سنة كريمة اختطها جلالة الملك فاروق ، بما جبل عليه من صفاء النفس وكرم الطبع وأصالة الرأى وقديما كان سميّه الفاروق عمر بن الخطاب يسير فى الطرق ويخالط الناس ، ويمتزج بهم ، ليضرب لهم المثل فى المساواة ، التى هى من مزايا الاسلام .

وليس جلال القدر ، وعلو المنزلة ، مما يحول بين المليك المعظم والقرب من شعبه ، فله من هيبة الملك ، ومحبة الشعب ، ما يرفعه إلى أعلى

قمة من التبجيل والاحترام ، ولرعيته ما يجعلها تحظى بأنواره ، وتتأدب بأدبه ، وتأنس بقربه .

كالبدر فى أفق السماء ، وضوءه يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وقد كان الفاروق « أيده الله » بعمله هذا أسوة حسنة لشعبه ، فى الاعتزاز بالدين ، والاعتصام بحبله ، والتأدب بأدبه ، والتهدّى بأحكامه ، فجزاه الله عن دينه خير الجزاء .

فسيشكر الإسلام ما أوليته والله عنـــه بالوفاء ضمين

هذه بعض أوليات من فضائل مليكنا الشاب المحبوب أرويها كعنوان ليمنه وفضائله ، وليس إلى إيراد ما خصّه الله به من مزايا ، وما طبعه عليه من هبات — سبيلٌ قريب .

ومن هذه الأوليات تتجلى العوامل القوية الخصبة ، التى جعلت قلوب الرعية تفيض محبة وإخلاصا لذاته الكريمة ، وتتفانى فى الولاء لعرشه المكين ، وسيبقى هذا الحب شعارا قويا خالدا على مر الأيام ، فهو يستند إلى أساس متين من الإخلاص فى قلوب الرعية ، ومن الصفات العظيمة التى فطر الله عليها هذا المليك المحبوب ، فتكافأت المحبة والدواعى .

ندعو الله أن يديم مليكنا العظيم كوكبا وضاء فى أفق البلاد المصرية ، ماشد اصادح على فنن ! !

والله أسأل أن تعمّر صالحا فدوام عمرك خيرُ شيء يُسأل

وإنى لراج أن أكون قد شاركت بما أمتلك من بيان فى حلبة السباق فى مكارم المليك المفدى ، والذى له فى رقابنا الثناء المطرز ، وفى قلوبنا الولاء المحقق :

حسبى رضاه، وإنى فى مسرته وودّه آخرَ الأيام أجتهد

عبد اللطيف المغربى